الفصل التاسع

تعرُّف الطلاب مزدوجي الاحتياج وخدمتهم في صف التجميع العنقودي المدرسي الشامل

س. ماثيوز فوغيت

C. Matthew Fugate

ركَّزت البحوث في الآونة الأخيرة على قضية الطلاب مزدوجي الاحتياج، وأَوْلتها جُلَّ اهتمامها؛ بغية التعرُّف إلى الطلاب مزدوجي الاحتياج وخدمتهم، وهم طلاب موهوبون، لكنَّهم يعانون أيضًا اختلافات تعليمية و/ أو سلوكية متزامنة (أعتقد أنَّه لا يجب على المربي أنْ ينظر إلى الصعوبات التعليمية والسلوكية بوصفها عيوبًا، وإنَّما بوصفها اختلافات في التعلُّم. فإذا طبَّق المعلِّمون أسلوب التدريس المتمايز بطريقة تحترم اهتمامات الطالب وأولويات الإنتاج والتعلُّم، فإنَّ الطلاب جميعًا سيستمرون في النمو. وفي نهاية المطاف، أليس هذا هو الهدف الرئيس من عملية التعلُّم؟).

بالنسبة إلى كثير من المعلِّمين والمديرين، فإنَّ مصطلح (مزدوجو الاحتياج) فيه كثير من التناقض اللفظي؛ إذ كيف يمكن لسامي أنْ يكون موهوبًا، وتكون قراءته –في الوقت نفسه– أسوأ من قراءة طلاب صفه. وكذا الحال بالنسبة إلى سارة؛ فهي تسيء دائمًا التصرف وتقاطع الآخرين، وبهذا لا يمكن وصفها بالموهوبة، أليس كذلك؟

إنَّ التحدي الذي يواجهه المعلِّمون في ما يخص الاعتراف بهؤلاء الطلاب وسبب تجاهل هذه الفئة من الطلاب الموهوبين على المدى الطويل؛ يعود إلى ظاهرة عُرِفت باسم الحجب أو الإخفاء، حيث إنَّ موهبة الطلاب تحجب اختلافاتهم، و/ أو إنَّ اختلافاتهم تحجب موهبتهم، وقد تسبَّب ذلك في حرمان الكثيرين من حاجاتهم كلها، والنظر إليهم بوصفهم طلابًا عاديين فقط.

والسؤال الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا -بوصفنا مربين- هو: هل تُعَدُّ هذه الاختلافات بالضرورة أمرًا سيئًا؟ إنَّ كثيرًا من الصفات التي تُميِّز هذه الفئة من الطلاب في صفوفنا هي تلك التي تحتفظ في النهاية بالقيمة الكبرى عند تركهم مدارسهم ودخولهم سوق العمل (Robbins, 2011). وإلى أنْ يبدأ المربُّون الاعتراف بقدرات هذه الفئة الخاصة من الطلاب، فإنَّهم قد يستمرون في تجاهل كثير من أفضل طلابنا وأذكاهم، والنظر إليهم بوصفهم طلابًا متوسطي المستوى أو عاديين؛ ما يؤدي إلى خسائر محتملة لنا جميعًا. يمكن تفادي هذه العواقب الوخيمة بتنفيذ برنامج يقوم على البحث مثل التجميع العنقودي المدرسي الشامل.

مَن هم؟

من أجل الفهم الكامل لطبيعة هؤلاء الطلاب، يجب أولًا وضع التعريفات التي تحدِّد خصائصهم وصفاتهم الفريدة. عرَّفت وزارة التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية الموهوبين بأنَّهم الأطفال والشباب ذوو المواهب البارزة القادرون على الأداء أو على إظهاره بمستويات متقدِّمة على نحوٍ لافت عند مقارنتهم بآخرين من الفئات العمرية والخبرات والبيئات نفسها.

يُظهِر هؤلاء الأطفال والشباب قدرات فائقة في المجالات العقلية، و/ أو الإبداعية، و/ أو الفنية، أو يمتلكون طاقات قيادية خارقة، أو يتفوَّقون في مجالات أكاديمية خاصة. وفي المقابل، فهم بحاجة إلى خدمات أو أنشطة لا تُقدَّم عادةً في المدارس. تتجلَّى المواهب

البارزة لهذه الفئة في مختلف المجموعات الثقافية، وفي الطبقات الاقتصادية جميعها، وفي شتى مجالات المساعي البشرية.

يُعرِّف قانون الأفراد ذوي الإعاقة (IDEA, 2006) ووزارة التعليم في الولايات المتحدة الأمريكية الطلاب ذوي الإعاقات التعليمية بـأنَّهم: طلاب لا ينجزون المهام على النحو المطلوب بما يتناسب مع فئتهم العمرية، أو يفي بالمعايير المعتمدة رسميًّا على مستوى الصف عند تزويدهم بخبرات وإرشادات تعليمية تناسب أعمارهم أو المعايير المعتمدة رسميًّا على مستوى الصف في واحد أو أكثر من المجالات الآتية: التعابير اللفظية، والاستيعاب السمعي، والتعابير المكتوبة، ومهارات القراءة الأساسية، ومهارات الطلاقة في القراءة، واستيعاب القراءة، والحسابات الرياضية، وحل المسائل الرياضية.

فالطالب من هذه الفئة لا يمكنه إحراز تقدُّم كافٍ بحيث يفي بمعايير الفئة العمرية، أو معايير الصف المعتمدة رسميًّا في واحد أو أكثر من المجالات المحدَّدة... عند استخدام عملية ترتكز على استجابته للتدخُّل العلمي القائم على البحث، وقد يُعزى ذلك إلى إظهاره نمطًا من جوانب القوة والضعف في الأداء، أو التحصيل، أو كليهما حسب عمره... (http:// www.idea.ed.gov).

أشار بوم (Baum, 2010a) إلى تعريف (الطلاب مزدوجي الاحتياج) الذي اقترحته لجنة مشتركة مؤلَّفة من ممثِّلين عن مركز البحوث القومي للموهوبين والنابغين، وجمعية تعليم الطلاب الموهوبين ضعاف التحصيل، وأكاديمية بريدجز، قائلًا:

> «إنَّ الطلاب مزدوجي الاحتياج هم طلاب تظهر عليهم علامات القدرة على تحقيق إنجازات كبيرة في مجالات متعدِّدة مثل الدراسات الأكاديمية الخاصة، و/ أو القدرة العقلية العامة، و/ أو الإبداع، و/ أو القيادة، و/أو الفنون البصرية، أو الفنون المكانية، أو فنون الأداء. وتظهر عليهم أيضًا علامات معاناتهم إعاقةً أو أكثرَ كما هو موضَّح في معايير القبول الرسمية أو الاتحادية، مثل: إعاقات التعلُّم الخاصة، والاضطرابات اللغوية واللفظية، والخلل السلوكي/ العاطفي، والعجز الجسدي، وطيف التوحُّد، أو أيّ اعتلال صحي آخر، مثل: اضطراب تشتت الانتباه، والنشاط الحركي المفرط/ الفقرة الرابعة».

يحتاج الطلاب الموهوبون إلى خبرات ومعارف تعجز عن توفيرها بيئة المدارس التقليدية في أغلب الأحيان، يضاف إلى ذلك أنَّ عصر الامتحانات المصيرية هذا، والدخل المحدود، والوقت الضيق؛ كل ذلك سمح للدوائر المدرسية الحكومية والخاصة بتحديد المعايير التي تُستخدَم في تحديد الطلاب الموهوبين، متجاهلين بذلك -على الأغلب- جميع مجالات الموهبة الأخرى التي تعلو على النباهة التقليدية، وقد يؤدي هذا إلى نشوء مشكلات تتعلَّق بتحديد الطلاب الموهوبين ذوي الاختلافات في التعلُّم.

ونظرًا إلى طبيعة الطلاب مزدوجي الاحتياج وتأثير الحجب الذي ينجم عنها غالبًا؛ فإنَّه يصعب علينا أنْ نحدِّد تحديدًا دقيقًا كيف يمكن تصنيف كثير من طلاب هذه الفئة. وبالرغم من ذلك، فإنَّ أكثر من (360,000) طالب مزدوجي الاحتياج موجودون الآن في المدارس على امتداد الولايات المتحدة الأمريكية. ولعل المشكلة الأساسية التي يعانيها هؤلاء الطلاب هي فشل كثير من المعلِّمين، والمنسِّقين الموهوبين، ومحترفي التعليم الخاص، والإداريين في تمييز قدرات هذه الفئة من الطلاب، وحتى لو تمكَّن هؤلاء من تحديدهم فإنَّ التركيز في تعليمهم يقتصر أحيانًا على جوانب ضعفهم الملحوظة لا جوانب قوتهم.

خصائص الطلاب مزدوجي الاحتياج

يعاني الطلاب مزدوجو الاحتياج غالبًا مشكلةً في إتقان المهارات الأساسية بسبب صعوبات قد تواجههم في العملية الإدراكية؛ ما يتطلَّب منهم تطوير خطط تعويضية تساعدهم على اكتساب المهارات والمعلومات الأساسية، بيد أنَّ دراسة بوم وأوين (Baum and Owen, 1988) التي شملت (112) طالبًا من الموهوبين و/ أو ذوي الاختلافات في التعلُّم؛ أكَّدت أنَّه بالرغم من ميول الطلاب مزدوجي الاحتياج إلى إنجاز المهام بمستوى أقل من إنجاز أقرانهم، و/ أو أنَّهم قد يسيئون التصرف في الصف، فإنَّهم يتمتعون بمستويات أعلى من الإبداع، وقد أيَّد هذه النتيجة باحثون آخرون.

يعاني هولاء الطلاب أيضًا صعوبات في القراءة بصورة متكرِّرة، وذلك نتيجة العجز في العملية الإدراكية؛ ما يصعِّب عليهم إتقان المهارات الضرورية (مثل: التلقائية، والطلاقة، والمسح الإدراكي)، فضلًا عن معاناتهم غالبًا صعوبات في التعابير المكتوبة، واستخدامهم اللغة في غير موضعها بالرغم من قدراتهم الكلامية المتميِّزة. وأخيرًا، فقد يتمتع هؤلاء الطلاب بمهارات ملاحظةٍ حادَّة، بيد أنَّهم يعانون ذاكرةً عاملةً ضعيفةً؛ أي عدم القدرة على حفظ المعلومات في الدماغ. وفي المقابل، فإنَّ قدرة هؤلاء الطلاب على استيعاب أيِّ مادة مقدَّمة لهم وربط أجزائها بعضها ببعض -حالما يحظون بفرص تحليلها الفاعل- تفوق قدرة أقرانهم العاديين على أداء العملية نفسها.

إنَّ لجوء الطلاب مزدوجي الاحتياج إلى إحداث فوضى وإظهار سلوك عدائي في الصف -في حالات كثيرة- قد يشير إلى شعور هؤلاء الطلاب بالعجز، وقلة احترام الذات. وقد توصَّل كلٌّ من (Dabrowski and Piechowski, 1977) إلى أنَّ هؤلاء الطلاب أظهروا حِدَّةً عاطفيةً في كثير من المواقف، ومرُّوا بحالتي كآبة وخيبة أمل شديدتين؛ ما أفقدهم الدافعية والرغبة في التعلُّم بوجه عام. وفي كثير من الأحيان، فإنَّهم ينظرون إلى واجباتهم المدرسية بوصفها واجبات صعبة جدًّا أو سهلة جدًّا. وعلى كلٍّ، فهم يشعرون بفقدان السيطرة على أدائهم الأكاديمي، ويلقون اللوم غالبًا على الآخرين عندما يواجهون إخفاقًا أكاديميًّا.

وفي الواقع، فإنَّ خصائص الطلاب ذوي الاختلافات الخاصة قد تكون مميَّزة جدًّا؛ إذ تتشابه غالبًا صفات الطلاب الذين يعانون اضطراب تشتُّت الانتباه والنشاط الحركي المفرط مع صفات الطلاب الموهوبين بوجه عام (Baum & Olenchak, 2002). من جانبه، وجد غيتس (Gates, 2009) أنَّ قوائم الجرد المستخدمة في تحديد الموهبة واضطراب تشتُّت الانتباه والنشاط الحركي المفرط تشترك فيما نسبته 82% من الصفات نفسها. وعلى نحوٍ مماثل، فإنَّ الطلاب الذين يعانون التوحُّد المتقدِّم تظهر لديهم غالبًا حالات ثنائية الحاجات، وإنَّهم يشاطرون حالات الموهبة في خصائص مشابهة، مثل: القدرة المكانية-البصرية، والتركيز أحادي التفكير، والإلمام المعرفي في مجالات الاهتمام، والذاكرة

الاستثنائية (Kalbfleish, 2013). وبالرغم من مواطن القوة هذه، فإنَّ عجز طلاب التوحُّد عن تمييز الإشارات الاجتماعية الأساسية قد يثبط من قدراتهم على بناء علاقة مع زملائهم.

ختامًا، فإنَّ الطلاب مزدوجي الاحتياج الذين يعانون مشكلةً في القراءة قد يتمتعون بقدرة مكانية- بصرية مضاعفة، إضافةً إلى قدرات فائقة على معالجة المعلومة عن طريق التكامل بين البصر والصوت والحواس الأخرى. وبغض النظر عن ذلك كله، فإنَّ أكثر صفات هؤلاء الطلاب شيوعًا هي قدرتهم على تطوير إستراتيجيات تعويض تتناسب ومجال (أو مجالات) الاختلاف لديهم (Neilsen, 2002). ويمثِّل الجدول (9-1) مقارنةً بين صفات الطلاب الموهوبين، والطلاب مزدوجي الاحتياج، والطلاب ذوي الاختلافات في التعلُّم.

الجدول (9-1): صفات الطلاب الموهوبين، وذوي الاختلافات في التعلُّم، ومزدوجي الاحتياج.

الطلاب الموهوبون	الطلاب ذوو الاختلافات في التعلُّم	الطلاب مزدوجو الاحتياج
المفردات المتطورة.	الإحباط من المدرسة.	الشعور بالنقص.
الإبداع المتميِّز.	قلة احترام الذات يحجبه السلوك التدميري.	الافتقار العام للثقة بالنفس.
القدرة الكبيرة على حل المشكلات.	التهوُّر.	الإحباط بسبب معرفة الجواب والعجز عن إيصاله والتعبير عنه بصورة فاعلة.
عدم وجود صلة تربط المواهب والاهتمامات بالمنهاج الدراسي التقليدي.	ارتفاع نسبة الشرود.	حدَّة العاطفة.
الميل الشديد إلى المرح والتحلِّي بحس الدعابة.	تباين الطاقات الأكاديمية.	ضعف المهارات الاجتماعية التي تبدو غالبًا أشبه بالسلوك المعادي للمجتمع.
الذاكرة الجيدة.	العجز في المعالجة.	الفشل في إتمام المهام.
القدرات المكانية.	الفتور العام في أداء الواجبات.	الافتقار إلى الدافعية.
الالتزام بالواجبات.	ضعف المهارات التنظيمية.	ارتفاع نسبة الشرود.

التقويم والتحديد

يبقى الطلاب الصغار مزدوجو الاحتياج مغمورين في المدرسة معظم الوقت، ويُعزى ذلك غالبًا إلى استخدام معيار من علامة واحدة عند تحديد الموهبة؛ لذا يتعيَّن علينا استعمال معايير عدَّة لنتعرَّف جيدًا إلى الطلاب مزدوجي الاحتياج قبل إرسالهم إلى الصفوف العنقودية فائقة القدرات. أمَّا المعيار الأهم فهو تطوير فريق مهام متعدِّد التخصصات، يضم معلِّمين وخبراء تشخيص مسؤولين عن التعليم العام والتعليم الخاص وتعليم الطلاب الموهوبين. يهدف فريق المهام هذا إلى توعية الطلاب الصغار مزدوجي الاحتياج عن طريق التطوير المهني، وإعداد عمليات التعرُّف إليهم وتنفيذها، وتطبيق برنامج خدمات.

بعد ذلك يتعيَّن عمل تقويم إضافي للموهبة يشمل الطلاب جميعًا الذين حُدِّدوا بوساطة عملية الفحص هذه. وفي هذا السياق، أكَّدت نيلسن (Nielsen, 2002) أهمية الحفاظ على معايير تحديدٍ مرنة للموهبة؛ إذ إنَّ التشبُّث الصارم بعلامات معدل الذكاء قد يَثبتُ أنَّه في غير محله. وعوضًا عن ذلك، فقد أوصت نيلسن بفحص علامات الامتحانات الفرعية الفردية، فضلًا عن الأداء العام، مشيرةً إلى التشتُّت الكبير في فروق سلَّم من سبع علامات أو أكثر بين أدنى علامات الامتحانات الفرعية وأعلاها. ويتعيَّن أيضًا عمل امتحانات المعالجة السمعية والبصرية لتحديد جوانب الضعف الخاصة بالمعالجة.

ختامًا، لا يكفي الاعتماد على الامتحان وحده لتحديد الطلاب ثنائيي الحاجات بصورة مناسبة، ولهذا حثَّت نيلسن على استعمال مصادر بيانات متعدِّدة لتحديد مجالات الكفاءة، بما في ذلك استخدام سلالم التقدير، مثل: سلالم تقدير الخصائص السلوكية للطلاب النابغين (النسخة المنقحة)، وقائمة شطب الإيجابيات الإبداعية. ولا شكَّ أنَّ تطوير عملية تحديدٍ مخطَّطة تخطيطًا دقيقًا سيُفضي إلى الاعتراف بمواهب عدد أكبر من الطلاب مزدوجي الاحتياج؛ ما يؤدي إلى وضعهم بصورة صحيحة في الصفوف العنقودية عالية الكفاءة، ثم تحديد جوانب القوة لديهم، والاحتفاء باختلافاتهم في التعلُّم.

برنامج الخدمات

إنَّ تقويم الطلاب مزدوجي الاحتياج والتعرُّف إليهم لا يمثِّل سوى نصف الطريق؛ إذ إنَّ الوفاء بحاجات هذه الفئة يتطلَّب سلسلةً متصلةً من الخدمات والتدخُّلات. ففي كثير من الأحيان، يمكن توفير الخدمات اللازمة، بيد أنَّها لا تتناول سوى مجالات الضعف لدى هؤلاء الطلاب، وليس مواهبهم، أو العكس بحيث يلتحق الطلاب ببرنامجٍ للموهوبين من دون الاعتراف بحاجتهم إلى التدخُّل. وفي كلتا الحالتين، فإنَّ الطلاب سرعان ما يشعرون بالإحباط من المدرسة.

إنَّ القدرة على جعل الطلاب مزدوجي الاحتياج متعلِّمين ناجحين يُحتِّم السماح لهم بتنمية إستراتيجيات التعويض، علمًا بأنَّ نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل يتيح للطلاب الموهوبين من ذوي الإعاقة في التعلُّم الالتحاق بالصفوف العنقودية فائقة الأداء؛ لمساعدتهم على تطوير قدراتهم عن طريق التركيز على مواطن قوتهم، وتنمية إستراتيجيات التعويض لديهم في آنٍ معًا.

وبوجه عام، فإنَّ متابعة الطلاب مزدوجي الاحتياج وجعلهم قادرين على مواجهة مواطن التحدي لديهم، يُحتِّم على المربين تجنُّب ما يُعرف بالتمكين التعليمي؛ وهو ميل المعلِّمين إلى تسهيل مهام التعلُّم في محاولةٍ منهم لتعزيز ثقة الطالب بنفسه (Schunk, Pintrich, & Meece, 2008). وبالرغم من ذلك، فإنَّا نلمس تأثيرًا عكسيًّا مع شعور الطلاب بأنَّهم غير قادرين على أداء مهمة تتناسب مع مستوى الصف. وهنا يمكن تعزيز الثقة الحقيقية بالنفس عندما يُمنح الطلاب مهام جديدة تتحدى مواطن القوة لديهم، وعندما يسعى المعلِّمون إلى إيجاد السبل المناسبة لتعليم هؤلاء الطلاب مستعينين بالمهام التي تتواءم مع مستوى الصف أو أقل منه نوعًا ما في أثناء معالجة جوانب الضعف لديهم (Baum & Olenchak, 2002). ولضمان نجاح أيِّ برنامج، يجب أن يكون شاملًا، بحيث يوفِّر مجموعة من الخدمات للطلاب الموهوبين والمعوَّقين تعليميًّا في الصفوف العامة، مع تأكيد مساندة المتخصِّصين في التعليم الخاص وتعليم الموهوبين على حدٍّ سواء (Nielsen & Higgins, 2005).

يوفِّر التجميع العنقودي المدرسي الشامل للمربين إطارًا مرنًا يتيح لهم تأمين الخدمات التي تلبي الحاجات الفريدة اجتماعيًّا ووجدانيًّا وأكاديميًّا للطلاب الموهوبين ذوي الاختلافات في التعلُّم. ولمعالجة هذه الحاجات، حدَّد بوم الوصايا العشر الآتية التي يمكن تنفيذها بسهولة في الصفوف العنقودية عالية الأداء ضمن نموذج التجميع العنقودي المدرسي الشامل:

1. **توفير مناهج دراسية متطوِّرة تتحدى قدرات الموهوبين والنابغين:**

بدايةً، يُعَدُّ الطلاب مزدوجو الاحتياج موهوبين؛ لذا ينبغي للمعلِّمين تناول مواطن القوة لديهم قبل الشروع في معالجة جوانب ضعفهم. وفي الواقع، فإنَّ تدريس محتوى ما في أحد صفوف التجميع العنقودي المدرسي الشامل، واستخدام المفاهيم العالمية يحفِّز الطلاب إلى تنمية مواهبهم وصقل خبراتهم عند النظر في القضايا المعقَّدة، وهذا يعني أنَّ تدريب الطلاب مزدوجي الاحتياج على المهارات الأساسية يصبح عملية ثانوية، ويسمح لهم بإيجاد المعنى والهدف عن طريق الإفادة من هذه المهارات، ويعزِّز في نهاية المطاف المهارات الأساسية. وبالمثل، فعندما يعطى الطالب تعليمات صعبة ومكثَّفة فإنَّه يستطيع تطوير مهارات تفكير أكثر تميزًا في حل المشكلات ومعالجة المعلومات؛ ما يبعث فيه عندئذٍ المزيد من احترام الذات، ويشجعه على زيادة الأداء الأكاديمي.

2. **الوصول إلى المناهج المدرسية باستخدام مجموعة متنوعة من نقاط الدخول والموارد:**

وجِّه الطلاب إلى تنفيذ أنشطة تساعدهم على تحسين الفهم والقبول لموهبتهم واختلافاتهم في التعلُّم، وتُعِينهم على استخدام هذه الموهبة في تعويض التحديات التي تواجههم. وفي هذا السياق، وجد زينتال وآخرون (Zentall, Moon, Hall, and Grskovic, 2001) أنَّ الطلاب مزدوجي الاحتياج في الصفوف التي تضم أيضًا أقرانًا موهوبين على نحوٍ تقليدي، كثيرًا ما يعانون في حال عدم إعداد وسائل الراحة بحيث تلبي حاجاتهم الخاصة. إنَّ التجميع العنقودي المدرسي الشامل

يفسح المجال لذلك عن طريق منح الطلاب فرص التركيز على قدراتهم أولًا، وتوفير المرونة للمعلِّمين -في هذه الأثناء- للعمل أيضًا على صقل مهاراتهم وخبراتهم، ويمكن لهذا أن يتحقَّق -مثلًا- عن طريق استخدام مراكز الهوايات المستهدفة، والرحلات الميدانية، والفرص اللامنهجية، والموسيقى، وأقراص الفيديو الرقمية، ومجموعة متنوعة من المواد المطبوعة.

وبالمثل، فإنَّ الصف المجمَّع عنقوديًّا يتميَّز بتركيزه على مواطن القوة للطلاب مزدوجي الاحتياج؛ ما يُسهِم في تطوير إستراتيجيات التعويض في مجالات الضعف لديهم. وما إنْ يتحقَّق هذا حتى تزداد فاعلية الطالب، ويُفتَح أمامه الطريق لإحراز المزيد من فرص النجاح.

3. **توفير وسائل للتواصل:**

يجب تعريض الطلاب مزدوجي الاحتياج لمجموعة متنوعة من الطرائق تمكِّنهم من التعبير عمَّا تعلَّموه؛ ما يسمح لهم بالتركيز على مواطن القوة لديهم. هذا لن يساعد فقط على بناء الكفاءة الذاتية والحد من الإحباط لهذه الفئة من الطلاب، وإنَّما سيوفِّر لها أيضًا فرصة تنمية قدراتها الإنتاجية الإبداعية الخاصة. ويعرض الجدول (9-2) قائمة لبعض خيارات الطرائق (المنتجات) المحتملة التي يمكن استخدامها في الصفوف الدراسية، وهي حتمًا ليست قائمة شاملة؛ إذ إنَّ كثيرًا من الخيارات الأخرى متوافرة أيضًا.

4. **استخدام إستراتيجيات تدريس جاذبة:**

يجب على المربين اتباع أسلوب تدريس يساعد طلابهم على التعلُّم. وبالنسبة إلى كثير من الطلاب مزدوجي الاحتياج يتمثَّل هذا الأسلوب في دمج المزيد من الأساليب البصرية والحركية في عملية التدريس. إنَّ التفاوت في أنواع التدريس الصفي (مجموعات كاملة، مجموعات صغيرة، أفراد) لا يُسهِم فقط في إيجاد مواقف تعليمية فريدة، وإنَّما يمنح الطالب وقتًا للحركة.

تشمل بعض الإستراتيجيات الأخرى دمج الأعمال المسرحية والفنية والموسيقية،

واستخدام مجموعة متنوعة من الأدوات التقنية (مثل: برامج الحاسوب، ومسجلات الصوت، ومشغلات الموسيقى، وبرامج التدقيق الإملائي، والكتب الإلكترونية)، والدعم التربوي، ووسائل التنظيم البصري والتصويري، والمحاكاة، وضغط المناهج المدرسية، والتسريع، والندوات السقراطية.

إدخال الحركة في الأنشطة:

امنح الطلاب فرصة الوقوف والتحرك. ففي كثير من الأحيان، يجد الطلاب من ذوي الاختلافات في التعلُّم أنَّ «سلوكهم يتعارض مع المطالب النموذجية للصف المدرسي، حيث تكون الحركات غالبًا محدودة، ويسود جو من عدم حفز الطلاب إلى الانفتاح على حُب الاستطلاع، فضلًا عن تحديد نوع التدريس والمناهج سلفًا تبعًا لحاجات مجموعة وهمية». (Baum & Olenchak, 2002, p. 80).

وفي ما يخص الطلاب مزدوجي الاحتياج، فمن المهم أن تُزجَّ حواسهم جميعها في عملية التعلُّم. وقد تصبح الحركة أداة تعليمية قيِّمة حالما يدرك المربون أنَّها -حقيقةً- نمط تعليمي للكثير من صغار الطلاب. وكان كلٌّ من بول وغيل دينيسون (Gail Dennison, 2010) قد طوَّر برنامجًا يُدعى النادي الدولي للتدريب الدماغي (Brain Gym International)، حيث توصَّل الكاتبان إلى أنَّ تضمين التدريس الصفي حركات بسيطة يمكِّن الطلاب من زيادة نسبة التركيز والفهم لديهم، ويساعدهم على «ضبط التناغم بين العاطفة والتفكير العقلاني».

5. **استغلال مساحة الصف وإضاءته وأثاثه بصورة إبداعية:**

أشار (Nielsen and Higgins, 2005) إلى ضرورة إيجاد بيئة مختلفة تحوي مساحات منفصلة، ويراعى فيها الحاجة إلى مساحات عمل متنوعة، فضلًا عن مساحة للتأمُّل الذاتي وإعادة التركيز؛ وذلك أنَّ الطلاب مزدوجي الاحتياج قد يجدون صعوبة في تحقيق النجاح في بيئة الصفوف التقليدية. وإذا أضفنا إلى ما سبق الأثاث المريح، والإضاءة المتغيِّرة، ونباتات الزينة، والموسيقى الهادئة، فإنَّ الفائدة قد تكون أكبر

للطلاب الذين لا ينعمون بالراحة في مساحات هادئة تمامًا، ويحتاجون إلى فرصة للتحرك في الصف، أو العمل في وضعية الاسترخاء.

6. **توفير ركن للقراءة:**

إنَّ تخصيص ركن مريح خاص بالقراءة، ومجهَّز بالوسائد، والكراسي قماشية التنجيد، والإضاءة المحيطة يوفِّر مكانًا هادئًا يساعد الطلاب على القراءة والتأمُّل. ولمَّا كانت القراءة تمثِّل أحد أبرز التحديات التي تواجه الطلاب مزدوجي الاحتياج، فإنَّ البيئة المريحة لركن القراءة توفِّر مساحة آمنة لحفز القُرَّاء إلى استكشاف مجموعة متنوعة من النصوص تتناغم مع وتيرتهم. يجهَّز هذا الركن أيضًا بسماعات الأذنين والكتب الصوتية. عندئذٍ، سيغدو ركن القراءة هذا ملاذًا آمنًا يلجأ إليه الطلاب الذين يعانون اختلافات سلوكية لإعادة التركيز عند شعورهم بالقلق أو الاكتئاب.

7. **توفير إجراءات تجمُّعية:**

يجب تخصيص مساحات منفصلة للتدريس المباشر على نطاق المجموعة كلها، والعمل في مجموعات صغيرة، وتوفير أنشطة تفاعل ثنائية بين كل طالبين في الصف، أو بين أحد الطلاب والمعلِّم. ويجب أيضًا أنْ يتَّصف المعلِّمون بالمرونة في ما يخص إستراتيجيات التجميع المطبَّقة، بحيث يتيحون للطلاب مزدوجي الاحتياج فرص المشاركة في المجموعات التي تركِّز على قدراتهم، والعمل -في الوقت نفسه- على وضعهم بصورة مناسبة في مجموعات لمساعدتهم على التطوُّر في المجالات الصعبة.

8. **توفير التعزيز الاجتماعي والوجداني مثل إستراتيجيات ضغط المنهاج، وإدارة الوقت:**

يتميَّز الطلاب مزدوجو الاحتياج من غيرهم بأنَّ لهم حاجات عاطفية اجتماعية فريدة من نوعها يجب التعامل معها؛ فقد أوضح كلٌّ من نيلسن وهيغنز (Nielsen and Higgins, 2005) أنَّ «الفهم المتعاطف لهذه الفئة من الطلاب يُفضي إلى التركيز

العام على أربعة عناصر هي: الكفاءة، والاختيار، والعلاقات، والتعاطف». (p. 10). أمَّا التجميع العنقودي المدرسي الشامل فيمنح المربين الوقت الكافي لتعليم هذه الفئة مجموعةً متنوعةً من الإستراتيجيات التنظيمية، بما في ذلك: استخدام دفاتر مرمَّزة بالألوان حسب مجال الموضوع، وتوفير الكتب المدرسية لكلٍّ من المدرسة والمنزل، واستخدام اللوائح التنظيمية لتتبُّع الواجبات المنزلية والتواريخ المحدَّدة لإنجازها.

وبالمثل، فقد يكون التدريس المباشر عن إدارة الغضب والتنظيم الذاتي والتفكير الاجتماعي مناسبًا لبعض الطلاب مزدوجي الاحتياج، ولا سيما المصابين منهم باضطراب تشتُّت الانتباه والنشاط الحركي المفرط، الذين قد يواجهون صعوبات في الحفاظ على العلاقات بأقرانهم، يضاف إلى ذلك أنَّ منح الطالب فرص الاختيار في سلوكاته الاجتماعية يتيح له الاستفادة من طاقاته، وينمِّي لديه احترام الذات؛ فمثلًا إذا كان الطلاب مصابين بالتوحُّد ذي الأداء الوظيفي العالي، أو باختلافات أخرى في التعلُّم غير اللفظي، فقد تتركَّز الخيارات على ما يأتي:

أ. المظهر الخارجي (النظافة، والملبس).

ب. ما تقول (اختيار الكلمات).

ج. ما تفعل (الإشارات غير اللفظية، واللهجة، والمسافة بينه وبين الآخرين، وحِدَّة الصوت وارتفاعه).

وللتغلُّب على مشاعر العزلة، حاوِل منح الطلاب مزدوجي الاحتياج فرصة العمل في مجموعات مع الأقران. صحيح أنَّ هؤلاء الطلاب يشعرون غالبًا أنَّهم غير قادرين على التواصل مع الطلاب الموهوبين الآخرين بسبب إعاقتهم، بيد أنَّهم يكونون أيضًا غير قادرين -معظم الوقت- على التواصل مع الطلاب غير الموهوبين من ذوي الاختلافات في التعلُّم، الذين لا يفهمون روح الدعابة لديهم، أو إبداعهم، أو مفرداتهم الرفيعة. وبالرغم من ذلك، فإنَّ الوقت الذي يقضونه في العمل مع الطلاب الآخرين من مزدوجي الاحتياج يساعد على منحهم الشعور بالانتماء.

10. **تمكين الطلاب عن طريق تنمية المواهب:**

أوضح مون وريس (Moon and Reis, 2004) أنَّ «تنمية المواهب الشخصية مهمة للطلاب الموهوبين كافةً، لكنَّها أكثر أهميةً للطلاب الصغار مزدوجي الاحتياج؛ لأنَّ هؤلاء الأفراد يجب أنْ يتَّصفوا بالمرونة للتغلُّب على إعاقاتهم، وتحقيق قدراتهم». (p. 117). أظهرت نتائج البحوث أنَّ تركيز المعلِّمين على مواهب الطلاب مزدوجي الاحتياج بدلًا من التركيز على جوانب ضعفهم يؤدي إلى تشجيع هؤلاء الطلاب على تطوير شعور إيجابي عن أنفسهم وكفاءتهم الذاتية، وبناء دوافع داخلية، وتحقيق نجاح أكبر في المدرسة.

يوجد كثير من الفرص التي تُسهِم في تنمية المواهب في صفوف التجميع العنقودي المدرسي الشامل، ممَّا يسمح للمعلِّمين والطلاب أنْ يركِّزوا على مواطن القوة لا الضعف، بما في ذلك: ضغط المناهج المدرسية، والتسريع، والدراسة المستقلة، والتوجيه، والمسابقات.

من جانبه، فقد طوَّر رينزولي نموذج الإثراء المدرسي الشامل بناءً على فكرة مفهوم الحلقات الثلاث للموهبة. في هذا النموذج، تتجلَّى السلوكات التي تتسم بالموهبة عند الجمع بين القدرات فوق المتوسطة، والمستوى العالي من الإبداع، والمستوى العالي من الالتزام بأداء المهام. وقد يقوم بهذا الجمع أيُّ طالب صغير في السن، وقد يحدث في أيِّ مكان، وفي أيِّ زمان. وتأسيسًا على هذا النموذج، امنح الطلاب فرص الاستكشاف المعمَّق لاكتساب معرفة عملية في مجالات اهتمامهم.

في سلسلة محاضرات تيد (TED Talk)، دعا روبنسون (Robinson, 2010) إلى وضع حدٍّ لمختلف النقاشات التي تتناول مسألة إصلاح المدارس، معتبرًا الإصلاح مجرد تطوُّر في محاولةٍ لتحسين نظام محطَّم. وعوضًا عن ذلك، فقد دعا إلى ثورة في النظام التربوي لإنهاء (أزمة الموارد البشرية). وللقيام بذلك، يتعيَّن على المربين تعرُّف مواهب الطلاب في صفوفهم بالرغم من الاختلافات التي بينهم. ويوفِّر التجميع العنقودي المدرسي الشامل

للمعلِّمين إطارًا شموليًّا مدروسًا يضع مواهب الطلاب مزدوجي الاحتياج على رأس الأولويات، ويحرص -في الوقت نفسه- على تنمية مهاراتهم الأكاديمية، وتلبية حاجاتهم الاجتماعية والوجدانية. وفي هذا الإطار، ستتوافر لدى هؤلاء الطلاب فرصة للنمو: اجتماعيًّا، وعاطفيًّا، وأكاديميًّا.

الجدول (9- 2): طرائق زيادة الإنتاجية الإبداعية.

• مشروعات الدراسة المستقلة.	• التعلُّم عن طريق حل المشكلات.
• التصاميم المعمارية.	• تطوير الألعاب.
• التجارب.	• مذكرات اليوميات.
• التعلُّم الذاتي.	• عقود التعلُّم.
• مراكز هوايات من إبداع الطالب.	• تحقيقات موجَّهة من المرشد.
• مسرح القارئ.	• أفلام من إبداع الطالب.
• المناظرات.	• المدوَّنات.
• تطوير مواقع في شبكة الإنترنت.	• الرسوم/ اللوحات.
• لوحات إعلانات تفاعلية.	• عروض الوسائط المتعدِّدة.
• قصص هزلية مصوَّرة.	• محاكمات صورية..